الّا اني لا يمكنني ان اختم كلامي دون ان اشير الى اثار تلك السياحة الالهيّة فانها لم تنحصر ببعض المعجزات اصطنعها الربّ في اثناء مسيرهِ. كلّا فان المسيح كان حيثما يحلّ يلقي زرعهُ كالزارع النشيط فيزكو الزرع وينمو ويأتي في وقتهِ بثلثين ضعفًا بل بالستين والمئة . وقد تحقّق ذلك خصوصًا في سواحل الشام اذ لم يمرّ عليها بضع سنوات حتى ازدهرت كنائسها وتوفّر مؤمنوها كما يشهد على ذلك كتاب الاعمال في وصف اسفار بولس الرسول الذي كان يرحّب بهِ الاخوة في مدن فينيقية

وكذلك المدن العشر انتشر فيها الدين النصرانيّ فاليها سار القديس بولس وبقي ثلاث سنين بعد ارتدادهِ ثمّ صارت احدى مدنها اي بلّا (طبقات فاهيل) مفزعًا لنصارى اورشليم التجأوا اليها قبل خراب المدينة المقدّسة وتدمير الهيكل على يد طيطوس. وبعد قليل أُنشئت هناك كنائس عامرة تنبئ بتقدّمها الاثار والتآليف القديمة

نعم انهُ حصل لتلك الكنائس محن وبلايا حتى تقهقرت مدّة اجيال متوالية وضعفت انوارها لكنّ زرع ابن الله لا يتلف تمامًا واملنا وطيد بان تلك الكنائس سوف تعود قريبًا ان شاء الله الى حسنها وجمالها ولنا ضمناء على آمالنا الطيبة اولئك الرعاة الصالحون الذين اقامهم عليها الكرسي الرسولي والمرسلون الغيورون الذين يتجوّلون فيها لنشر الانجيل وخصوصًا سيادة القاصد الرسولي الكلي الشرف والجزيل الاحترام. وحضور نيافتهِ هاهنا في هذه الحفلة ينعش رجاءنا ويكفل بقرب حلول امانينا فانّ امام الاحبار قد اقامهُ كنائبهِ على كنائس فينيقية والنحاء دمشق وحوران ليجدد مفاخرها السابقة ويستطر عليها نعم ذلك الراعي العظيم الذي تنازل وقدّسها بمرورهِ في اقطارها. امين اللهمّ امين

دبرا ليبانوس

او دير قديم في الحبشة العليا

لجناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي ميخائيل رعد

(تتمّة لما سبق في المشرق ١٠ : ٢٧٣)

قبل ان اواصل القراء الكرام بتتمة رواية زيارتي لدبرا ليبانوس استميح حضرة

الاب الفاضل المدقق القس جرجس منش الاذن بشكر حضرته علناً على الملاحظة التي اتاها عن هذا الدير في المشرق (١٠: ٩١١) تتمةً للفائدة. فقد فتحتْ لي ملاحظة حضرته هذه باباً للبحث عن حقيقة زمن تسمية ديرا ليبانوس بهذا الاسم اذ انَّ ما اثبتهُ في افتتاح مقالتي عن ذلك المنسك (المشرق ١٠: ٧٧٢) كان من باب الحدس والتخمين لا من باب التوكيد كما ذكرت

ظننتُ لمن اطلاق هذا الاسم على دير ديرا ليبانوس قريب العهد وقلت انَّ « لعلَّهُ لا يتجاوز مائة سنة ». ورجّح حضرتهُ الظن انهُ سمّي كذلك في الجيل السادس عشر مستشهداً بالقس يعقوب ورفقتهِ الرهبان الاحباش الذين نزلوا جبل لبنان واستوطنوا دير مار يعقوب في اهدن المعروف بعدهم بدير الاحباش الخ . الى ان قال انهُ « من القريب الى الصواب ان فرقة من هؤلاء الرهبان الذين طُردوا من لبنان سنة ١٤٨٨ قفلوا عائدين الى بلادهم وعمّروا الدير السابق الذكر (يريد ديرا ليبانوس) فأُطلق عليهِ او (أطلقوا عليهِ) اسم دير جبل لبنان. اه

فيسرّني ان اعترف اليوم ان ظنّ حضرة الاب جرجس منش كان اقرب الى الصواب من ظنّي وليس الاقرار بالغلط عاراً. على اني بعد التنقيب — وقد ساعدني على هذا التنقيب معرفتي باللغة الحبشيَّة — رأيت انَّ قولينا ظنٌّ وان ظني كان ابعد من ظنّ حضرته. وهاك خلاصة ما استنتجتهُ بدليل الحجج الآتية:

١ ان تسمية دير ديرا ليبانوس بهذا الاسم ترتقي الى عهد تأسيس الدير في الجيل الثالث عشر. فان مؤسسهُ هو الاسقف الحبشي الكاثوليكي الشهير تقلاهيمانوت (١ (ተክለ ሃይማኖት :) — وليس رفقة الراهب يعقوب الذي نزل الشام — وهذا الاسقف سامه ميخائيل البطريرك القبطي الثالث والستون عداً على كرسي الاسكندريَّة. وقد جاء في تاريخ حياة هذا الاسقف الصالح انهُ مؤسس البيعة النسكيَّة في الحبشة وانهُ بعد عودته الى مدينة « عدّا ابونا » (٢ ترك في هذا الدير سبع تلامذة رهبان سلّم اليهم قانونه في النسك ورأّس عليهم رئيساً قانونياً. وقد اقامت الكنيسة الحبشية في

١) اطلب المشرق (٦: ٩١٦)

٢) وعنى الكلمات « السدة الاسقفيَّة » هي مدينة في بلاد تگره لم تزل آثارها الى اليوم قرب مدينة عدوى ويقطنها الابنا بطرس اسقف تگره الحالي

سنكسارها تذكاراً لاكثر هؤلاء الرهبان كما سأذكر وعدتهم من الابرار. وقد ذكر ايضاً ان الاسقف تقلاهيمانوت المشار اليه نُقل جثمانه بعد وفاته الى بلاد الأحرة فأودع كنيسة الدير الذي بناه وذكر السنكسار الحبشي هذا الحادث مسمياً الدير باسم ديرا ليانوس (ደብረ ሊባኖስ)

٢ً بدليل ما جاء في السنكسار المذكور عن القديس « كبرا منفس قدوس » (ገብረ መንፈስ ቅዱስ) — اي عبد الروح القدس — انه « كان رئيس الرهبان السبعة الذين تركهم القديس تقلاهيمانوت في ديرا ليانوس » والكنيسة الحبشية تقيم له عيداً في اليوم الخامس من شهر مكابيت — وهو برمهات القبطي — وتجعل له تذكاراً في الخامس من كل شهر اذ هي تعتبره من اكبر قديسيها

٣ً تجعل الكنيسة الحبشية في اليوم الرابع والعشرين من شهر طِرْ — طوبة القبطي — تذكار وفاة الاب « مهرا كرستوس » (መሐረ ክርስቶስ) — اي نعمة المسيح — « احد رهبان ديرا ليانوس السبعة تلميذ القديس تقلاهيمانوت

٤ً في اليوم الثالث من شهر طِرْ المذكور يعيّد الاحباش للراهب « ليانوس متى » (ሊባኖስ ማቴ) . جاء في سيرة حياة هذا الراهب انه « بعد ان عاش مدةً في دير ديرا ليبانوس ذهب واتمّ بقيّة حياته النسكيّة في دير القديس باخوميوس في الصعيد وكان ذلك في عهد القيصر مكسيميانوس »

٥ً جاء في اليوم الثاني من شهر هِدارْ — هاتور القبطي — انه « تذكار وفاة الاب ليبانوس » الذي كان راهباً في دير ديرا ليبانوس في عهد الملك « لاليبلاً » . ومعلوم ان هذا الملك كان كاثوليكياً عاش في نهاية الجيل الثالث عشر واوائل الجيل الرابع عشر. ويدعوه ايضاً الاحباش باسم القديس لويس الحبشي (١

٦ً في اليوم الثالث من شهر ميازيا — برمودة القبطي — ذُكر في السنكسار الحبشي لنياح الاب « سَمَرَة حيُون » (ሰመራ ጽዮን) — اي ثمرة صهيون — « احد المتوحدين السبعة في دير ديرا ليبانوس في عهد رئاسة الاب كبرا منفس قدوس » وهو الانف الذكر

٧ً في الواحد والعشرين من نفس هذا الشهر ميازيا « تذكار نياح الاب حبقوق

١) راجع المشرق (٦ : ٩١٩)

حادي عشر رئيس لدير دبرا ليبانوس المنسوب للقديس تقلاهيمانوت في عهد الاسقف بطرس » وبطرس هذا هو الرابع بعد تقلاهيمانوت في سلسلة اساقفة الحبشة

٨ً في اليوم العشرين من شهر كنبوت — بشنش القبطي — ذكر الاب « بطرا ومنكل » (፩.ፕሬ : ወንጌል) — اي صخرة الانجيل — الرئيس السادس عشر لدير دبرا ليبانوس »

٩ً في اليوم التاسع والعشرين من شهر سانيه — بابونه القبطي — نقل رفات القديس « عمدا ميكائيل » (ዐምደ ሚካኤል) — اي عامود ميخائيل — الى دبرا ليبانوس في عهد الملك « لبنا دنكل » (ልብነ ድንግል) — اي بحور العذراء — ومعلوم ان هذا الملك هو من اجداد الامبراطور منليك الثاني الحالي تملك على الحبشة من سنة ١٥٠٨ الى سنة ١٥٤٠ ويُعرف ايضاً باسم « أطانا دنكل » (ዕጣነ ድንግል) اي بخور العذراء ايضاً فان كلمتي « لبن » و « أطان » مترادفتان في اللغة الحبشية. وباسم « وتك سگد » (ወገ ሰገደ) — اي سجد السبع » وهو اكثر شهرة ايضاً باسم داود الثالث

١٠ً في اليوم العشرين من شهر همله — ابيب القبطي — « ذكر التوحدين « تقلا ادوناي (ተክለ አዶናይ) — اي غرس ادوناي — وتولد مذهن (ትውልደ መድኅን) — اي ذرية المخلص — تلميذي القديس تقلاهيمانوت من رهبان دبرا ليبانوس السبعة »

١١ً في الثامن والعشرين من شهر همله نفسه « يناح قلبس اللاهوتي وكبرا مسگل (ኪሮስ : መስቀል) — اي عظمة الصليب — من رهبان دبرا ليبانوس السبعة » الموما اليهم

فهذه النصوص كلها تشهد جلياً ويُستنتج منها ان دير دبرا ليبانوس دُعي بهذا الاسم منذ عهد تأسيسه. ومما يزيدني توكيداً لما سبقتُ فقلتُ (المشرق ١ : ٧٧٠) « ان الباعث الذي حدا الاحباش في سالف الزمان الى ان يدعوا هذا المكان باسم جبل لبنان هو اولاً تيمناً باسم ذلك الجبل الذي جاء ذكره في نصوص الكتاب الكريم ثم لوجه الشبه بينه وبين جبل الشام من حيث التكوين الطبيعي . . . . الخ » هو ان الاحباش يطلقون على اديرتهم اسماء كناية وتاريخية كثيرة تيمناً بها. تشهد على ذلك اسماء الاديرة

الاخرى الموجودة او الباقية آثارها الى اليوم في الحبشة كدير « دبرا صيون » (ደብረ ጽዮን) — اي دير جبل صهيون — ودير « دبرا تابور » (ደብረ ታቦር) — اي دير جبل تابور — ودير « دبرا برهان » (ደብረ ብርሃን) — اي دير جبل النور — وهذه الاديرة الثلاثة هي في بلاد الاحرة. كذلك دير « دبرا كمل » (ደብረ ከመል) — اي دير جبل الكرمل — ودير « دبرا زيت » (ደብረ ዘይት) اي دير جبل الزيتون — في بلاد تكره وغيرهم كثير

*

فبعد هذه المقدّمة اعود الى مواصلة الكلام عن الدير المبحوث عنهُ فاقول:

منسك دبرا ليبانوس عبارة عن سهل من الارض منخفض محاطٍ تكتنفهُ الجبال قدرتْ مساحتهُ بنحو عشرين هكتارًا من الحضيض مغطًّى كله بغابة كثيفة اشجارها من الفصيلة الراتنجية مع بعض اشجار الزيتون البريّة غير المثمرة. يجتازه من جهته الشرقيّة نهر مزبد المياه سريع الجري وهذه المياه هي التي تسقط اليه من اعلى الجبل شلّالًا كما اشرت فوق هذا. اما الماء المنفجر من قلب الصخر في ذلك المنسك والذي يعتبره الحبش مقدساً فانه ينحدر كالانبوب او كالميزاب فيسقط اولًا في جرن من الصخر يحوط به سياج وله مدخل واحد. هناك يستقي الزوار الماء مشرب الامانة فيسقون منهُ المرضى ويملأون الاوعية التي يحملونها الى امكنتهم البعيدة ويقوم على حراسة هذا الجرن راهب شيخ يرتدي وشاحًا من جلد البقر وله كوخ حقير عند مدخل هذا الجرن وهذا الراهب يغمس في كل مرة اصبعهُ في طين تلك الارض ويرسم بهِ على جبهة الزوار صليباً يحافظون عليهِ اطول ما يستطيعون من الزمان. ثمَّ يسيل الماء المقدّس من ذلك الجرن فيجري تحت جذوع الاشجار حتى يصبَّ على مقربة من هناك في بركة صغيرة حُفرت بين الصخور بعمق نحو ذراع واحد غير مستوية الدائرة ينزل اليها الزوار ومرضاهم فيغتسلون بها اصطباغ الامانة وعددٌ منهم يُشفون من عاهاتهم كما اشرت. وبعد ذلك يواصل الماء الجري في ارض المنسك فيستقي منهُ النساك ثمَّ يصبُّ اخيرًا في الوادي الكبير الذي ينسكب فيه النهر الشرقي والذي قلتُ انهُ يحدّ المنسك من جهتهِ الجنوبيّة

يعيش في هذا الدير نحو من ثلاثة آلاف ناسك يسكنون الاكواخ الحقيرة ومغاور الجبل وبين اغصان الاشجار في الحرش. يفترشون كلهم الارض على التراب او يجعلون

تحتهم شيئاً من العشب واوراق الشجر ولا يرتدون بسوى جلود الحيوانات. هؤلاء هم الجماعة النسكيّة التي اسسها الطيب الذكر الانقف تقلاهيمانوت في الحبشة ناسخاً اياها عن سيرة نساك القديس باخوميوس في بلاد الصعيد. لا يذوقون طعاماً آخر سوى السايق من الحبوب وخبز التقدمة الذي يحضر الى الدير في كل يوم من الخاء كثيرة. اما السليق فانهُ يُطبخ في الدير نفسه ويُشترط ان يقوم الرهبان بعمله وهم ليس فقط لا يخالطون النساء بل انهم ايضاً لا يريدون ان يأكلوا سليقاً طبختهُ ايدي المرأة. وقد قُدم لي من هذا السايق بينما كنت ازور الدير فاكلتهُ وهو خليط من القمح والشعير والعدس والحمص والفول مسلوقاً بالماء لا غير وقلما زيد عليه شيء من الملح. وبوجه الاجمال انَّ نساك دير ديرا ليبانوس يتبعون الى اليوم السيرة النسكيّة كما كان يتبعها في سالف الزمان رهبان برّية الصعيد ومصر تباع قوانين آباء الرهبان القديسين انطونيوس وباخوميوس. وفي ثبات اتباع هذا التقشف الصارم الى اليوم عند رهبان ديرا ليبانوس في الحبشة كما كان جارياً في القديم برهانٌ حسيّ ساطع على قول امتناع الرهبان الشرقيين قطعياً عن اكل اللحوم قديماً (١

اما كنيسة الدير فهي حديثة العهد بناها الراس دارگه عمّ النجاشي الحالي في مكان الكنيسة القديمة التي يقال ان بها رفات تقلاهيمانوت على ان جلالة الامبراطورة طايتو تشاء هدم هذه الكنيسة ايضاً وانشاء كنيسة حسنة البناء في مكانها لكنَّ الرهبان يضادُّون هذا المشروع مفضلين قدمية كنيستهم. وليس في هذا المعبد شيء يستجلب الابصار ولا آثار تستحق الانتباه او كتابات تاريخية او تصاوير قديمة فهي كبقية كنائس الحبشة مستديرة الشكل تكثر الاخشاب الغليظة في بنائها وحجاب هيكلها حديث التصوير وارضها مفروشة من حصير متين الصنعة محبوك بقصب البامبو يضمُّهُ الى بعضهِ سيور من جلد البقر وسقفها من الهشيم كسائر ابنية الحبشة. ويقرب هذه الكنيسة معبد آخر يدعوهُ مقام الصليب يُحفظ فيهِ صليب خشبي كبير غليظ الصنعة يعلقون بهِ الزياحات والبواعيث في كثير من الاعياد وهم يدَّعون انه نزل من السماء في عهد

(١ راجع الرسالة الزاخرية التي نشرها حضرة الاب تيموثاوس جق (المشرق ١٠: ٨٢٩ و٩٣٩ و٩٧١)

تقلاهيانوت وهي خرافة كالتي ذكرناها قبيل هذا اعني قولهم عن ماء الدير انه من نهر الاردن

على ان ما يستوقف الابصار في هذا الدير غير ما ذكرناه عن هول الطبيعة ومنعة المكان هي آثار المدافن القديمة فهناك قبور مكشوفة نُقرت في الصخر واحدها بجنب الاخر وذلك في اسفل الجبل الذي يحدُّ المنسك على طول السهل وعرضه. ولم يزل الاحباش ينقلون الى هذه القبور عظام موتاهم حتى من امكنة كثيرة البعد فيغادرونها في هذه القبور المكشوفة وسط الصندوق الذي حملوها به . ومن نوع هذا الصندوق يعرف الناظر اليه ان كانت العظام المودوعة به نُقلت من محلّ بعيد ام لا . فصناديق البضاعة الاوربية الحسنة الوضع تنبئ ان ما فيها من الرفات نُقلت من بلاد ليست كثيرة البعد تصل اليها اليوم البضائع الواردة ثمّا وراء البحر كأمارة هرر ومملكة الشوا ومقاطعة تكَره وما جاورها . والصناديق المحكمة الصنع الجليَّة الواحبا بالغارة تعرّف ان ما تحواه من العظام حُملت من بلاد قريبة فيها الصنائع والتجارة بنوع اخصّ . وصناديق البترول المصلّح كسرُها بالواح قُدّت من الاشجار بالقَدُوم الوطني والمرتبطة اقسامها بالجلود تفيد الناظر اليها ان الرفات المودوعة بها واردة من بلاد متوسطة البعد دخلها التجار القليلون ولكن ليس فيها بعدُ من صناعة كبلاد كودجام وامارة سلاله وبلاد الكوراگي والكافا والشانكلّا وغيرها . ومن الصناديق الاوّلية الحضة وهي كناية عن قطعة واحدة من ساق الشجر الغليظ محفورة بالقدوم الوطني على شبه صندوق ومغطاة بقطعة نظيرها يربطها ببعضها سيور من جلد بلا مسمار ولا مفصلة ولا ما شابه ذلك . او من العظام الموضوعة ضمن ظروف من جلود الحيوانات مع شعرها يعرف الزائر ان هناك رفات اتت من بلاد متوغلة في الداخليَّة ليس فيها شارة من شارات دخول بعض الحضارة . . وهذه الرفات كلها معروضة للناظر لا يغطّيها تراب ولا حجر . اما قبور الملوك والامراء فهي كناية عن ابنية كبيرة بعضها من حجر منحوت وهي الحديثة العهد كقبر الراس دارگه وابنه الامير اصفا و وقبر الراس أولا وقبر ملكة الشوا امرأة النجاشي مناليك الاولى وبعضها سقيمة البناء تشبه البيوت الحبشيَّة وهي قبور الملوك والامراء الاقدمين وعلى كل هذه الآثار لا تجد تاريخاً ولا اشارة ولا كتابة يستطاع منها معرفة عهد الدفن وهم يفرقون بين قبر وقبر بالتقليد والله فوق علمهم علم